

## الأثر المسيحي ومظاهر حضوره في التصوف الاسلامي بمناهج المستشرقين

م.د. سعاد مقداد ناجي الأسدي

وزارة التربية / مديرية تربية الكرخ/ الأولى

### الملخص

لقد ارتبط الرأي والقول بالأثر المسيحي في التصوف الاسلامي بالدراسات الاستشراقية، وان المستشرقين على الرغم من الخدمات التي قدموها للتراث الاسلامي سواء كان بالدراسة او بالتحقيق الا ان بعضهم كان حاقداً على الاسلام وظهر ذلك لنا جلياً من خلال النصوص التي سنستعرضها بالبحث، وهو يجمع بين المتشددن والمتعصين الذين يخفون اغراضاً غير غرض الحقل العلمي سواء كان استعماريّاً او سياسياً، ان البنية الاولى للتصوف بوجه خاص عربية، فوجب لزماً تحديد العناصر الاجنبية التي كان لها آراء معادية للاسلام، وآراء مخالفة لحقيقة التصوف الاسلامي وكانوا يبحثون عن الثغرات في إبراز جذور وحقيقة التصوف الاسلامي على غير ما هي عليه، ان الانفتاح الفكري والفلسفي يربطه بالديانات الأخرى ارتباطاً وثيقاً وخاصة انه يتصل بالمعرفة اليقينية بالله وهي صفة تجمع كل الاديان، وان التصوف لدى المسيحية هو طلب معرفة الله والشعور بالوحدة مع الله والتكلم معه وهو النزوع بواسطة الرموز الى المطلق أبدياً وهي في مجملها تعبر عن مضمون وجوهر التصوف المسيحي.

كلمات مفتاحية: الأثر - المسيحي - التصوف - مناهج - المستشرقين.



---

**Christian impact and manifestations of its presence  
in Islamic Sufism in the method of Orientalists**

Dr. Suad Muqdad Naji

Ministry of Education / Directorate of Education Karkh / First

**Abstract**

I have been associated with the opinion and the Christian influence in Islamic mysticism orientalist studies, and orientalist, despite the services they provided to the Islamic heritage, whether it was studied or investigated, but some of them were antagonistic to Islam and showed us clearly through the texts that we will review research, it combines hardliners and fanatics who hide for purposes other than the purpose of the scientific field, whether colonial or political, that the first structure of Sufism in particular Arab, and found the need to identify foreign elements that had views hostile to Islam, and views contrary to the reality of Islamic Sufism since Christianity is the demand for knowledge of God and the sense of unity with God and speak with him is the tendency by symbols to the absolute eternal and in its entirety express the content and essence of mysticism.

Keywords: Christian- impact- manifestations- Sufism- Orientalists.

### التصوف:

التصوف في اللغة لفظة اشتقت من الصوف وقد اطلقت على من لبسه وتدل على التقشق، اما في الاصطلاح، فهي العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والابتعاد عن زخرف ومتاع الدنيا، ويدل على الزهد والابتعاد عن المال ولذة الحياة والجاه، وقد بدأ في الاسلام مبكراً منذ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة من بعده<sup>(١)</sup>.

ويذكر الجرجاني في التصوف: "التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطناً، فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمتين كمال، وهو مذهب كله جد فلا يخلطونه شيء من الهزل وقيل تصفية القلب عن مواقفه البرية ومراقبة الاخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية ومجانية الدعوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو اولى على السرمدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسول الله (ﷺ) في الشريعة"<sup>(٢)</sup>.

ان آراء المؤرخين المسلمين الكثيرة والمتنوعة في وصف وتوضيح التصوف توضح لنا انها بدأت منذ بداية الاسلام وان التصوف اذا ما دعا الى شيء فدعا الى الزهد والتقشف في الدنيا والتوجه لعبادة الله عبادة خالصة بعيداً عن اللهو في الحياة الدنيا، يقول الطبري: "لما سُئل الحلاج ما التصوف ذكر: "ما أنا فيه والله ما فرقت بين نعمة وبلواه ساعة"<sup>(٣)</sup>.

فهو يصف ان تجليات نعمة الله وما هو فيه من ادراك وحبه للايمان والخالق جعله لا يفرق في النعمة والبلوى.

### آراء المؤرخين المسلمين في التصوف:

وضع المؤرخين المسلمين العديد من الآراء في التصوف وعلى الرغم من كثرتها وتنوعها إلا أنها تنصب في سياق واحد تكون فيه الفكرة واحدة ومضمونها واحد، قال القشيري في التصوف: "اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله (ﷺ) لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله (ﷺ) إذ لا فضيلة فوقها، فقليل لهم: الصحابة، ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين، ورأوا ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقليل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق كل فريق ادعوا أن فيهم زهداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون انقسامهم من الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف"<sup>(٤)</sup>.

ومع مرور القرون يأتي ابن خلدون ليضع لنا تعريفاً لعلم التصوف فيقول: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبار الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية وأصلها الصوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف"<sup>(٥)</sup>.

وبهذا يتفق علماء ومؤرخي المسلمين في آرائهم في التصوف وأنه ينطلق من مبدأ الزهد والابتعاد عن ملذات الحياة وهدفهم وجه الله تعالى، قال رسول الله (ﷺ) أن اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل"<sup>(٦)</sup>، لأن التصوف بالاسلام أرادوا به الله تعالى لأن ما عداه في الاسلام هو محرم وباطل.

### التصوف الاسلامي ومراحل تطوره عبر القرون:

نشأة التصوف الاسلامي منذ بذوره الأولى نشأة اسلامية منذ القرن الأول الهجري، وكانت ملامحه منذ البداية هي مراعاة الشريعة والدين الاسلامي والزهد والابتعاد عن المتاع الدنيا، وكان همه الوحيد هو رضا الله سبحانه وتعالى والنجاة من عقابه والفوز بنزهته<sup>(٧)</sup>.

ان حياة الزهد والعبادة والاتجاه الى الله سبحانه وتعالى كانت من صفات وحياة النبي محمد (ﷺ)، فإن المتصوفة اتبعوا نفس الحياة وتوضح لنا اتباعهم نفس الحياة وما اتبعوه من رياضات ومجاهدات للكشف عن المعارف والحقائق ومعرفة الدقائق الى مصدرها الأول وهي تمثل الحياة الروحية الخاصة التي كان يعيشها النبي محمد (ﷺ) وهي التجرد فيها من كل شيء وتتكشف فيها له عن وجه الحق في كل شيء<sup>(٨)</sup>، وكل هذا كان في القرن الاول الهجري.

اما في القرن الثاني الهجري فقد كان التصوف مكمل للقرن الأول الهجري فقد كان الزهد مبالغ به وكان يدعو ايضاً الى ترك متاع الحياة الدنيا ورياضة الروح والنفس، ولكنه اختلف لأنه اطلق عليه اسم الصوفية فقد تحدد لهم اسمهم وبدأوا يحملون صفاته، وقد اتخذوا ابعاداً اكبر من القرن الاول الهجري وظهرت المبالغة بشكل واضح وصريح فقال القشيري: "واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة"<sup>(٩)</sup>، اما ابن خلدون فيصف هذا القرن والتصوف فيه: "فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"<sup>(١٠)</sup>.

وكانت عناصر التصوف غير واضحة مثل القرون المتقدمة كالمحبة والفناء ووحدانية الوجود، وكنا نلمس ذلك واضحاً عن رابعة العدوية<sup>(١١)</sup> (ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) اي ان المنشأ للتصوف كان من البصرة وكانت ايضاً تحمل نفس الصفات والروحانية والزهد وجهاد النفس للارتقاء بها في حب الله.

أما في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بدأ مفهوم التصوف يتغير من الأسلوب البسيط ومجاهدة النفس ورياضة الروح الى منحى آخر أكثر تطوراً حيث أصبحت غاياته اسمى وانقى وأكثر تطوراً فبدأ الى غاية اسمى هي فناء الانسان عن نفسه، وبقاءه قرب ربه واتحاده به، وبدأت هذه العناصر تتفاعل معه وتأخذ الى مفهوم اوسع واشمل<sup>(١٢)</sup>، واخذت تنقسم المتصوفة الى فرق لها تنظيم لها اتباعها ومريدوها، واخذت تتوسع الى مدارس لها طرائقها الخاصة وشيوخها واتباعها، وكان لكل فريق طريقته الخاصة به وانتشرت في جميع العالم الاسلامي، وحفل القرنين الثالث والرابع الهجريين بشخصيات صوفية ومذاهب الروحية النظرية والعملية<sup>(١٣)</sup>.

أما ما تلى هذه القرون ابتداءً من القرن الخامس الهجري الى نهاية العصور الاسلامية الهجرية فأخذ التصوف في التطور والتبلور بصور أكثر وضوحاً ودقةً نتجت عنها مدارس صوفية وطرق لها تسميات وشيوخ وأشخاص معروفين حملوا في طيات شخصياتهم الكثير من العلوم والمعارف امتزجت بالتصوف فكان النتاج رائعاً، وهناك عاملاً آخر في انتشار التصوف في العصور العباسية المتأخرة ألا وهو ضعف الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني واضطراب الاحوال السياسية والنزاعات ما بين الفرق الاسلامية ادى الى التعصب داخل الاتجاهات المذهبية، كان نتيجة ذلك انتشار التصوف والمتصوفة بين الناس فوجدوها وسيلة للخروج من تلك الخصومات والمنازعات فظهرت نزعة الزهد، وتغلب العاطفة في الدين على العقل، وزادت عدد الربط والزوايا وانتشار الأساطير والخرافة الى الاولياء واعمالهم الخارقة وكراماتهم، وكان الرباط مكان يسكنه الفقراء والمتصوفة والزهاد وكانوا يمارسون فيه عباداتهم وتزهدهم لكن التطور هنا في ظهور الزاوية والتي تمثل مقام احد الزهاد الذي يلتف حوله عدد من الفقراء والمتصوفة وقد حافظت على طابعها الصوفي الاصيل الذي تأسست من اجله فصارت مواضع للتدريس والتأليف والافراد والاجازة واحتوت على مكتبات عامرة<sup>(١٤)</sup>.

ومن الجدير بالذكر ان ضعف الخلفاء وميلهم للترف والرفاهية وغرقهم في الملذات واعتمادهم على العنصر الاعجمي وان تدخل العناصر الاجنبية كالبويهيين والسلاجقة واعداء الامة اتاح لهم

الفرصة لكي يلعبوا دورهم في ضرب الاسلام ودولتهم في الصميم وفسح لهم المجال لخرق قيم الامة الاسلامية ومبادئها، كل هذه الاشياء مجتمعة أدت لظهور التيار الصوفي وتطور مساره في التاريخ<sup>(١٥)</sup>.

### علاقة التصوف الاسلامي بالديانات الأخرى:

التصوف مشترك بين حضارات وفلسفات وديانات متباينة في عصور مختلفة في أساس تفسيرها المتأثر بالحضارة التي ينتمي اليها كل متصوف، والتصوف نوعان ديني وفلسفي، فالديني ظاهرة مشتركة بين الاديان جميعاً سواء غير سماوية او سماوية، والتصوف الفلسفي قديم عرف بالشرق وفي التراث الفلسفي اليوناني وفي أوربا<sup>(١٦)</sup>.

فهو طريقة سلوكية قوامها النقشف والزهد والتخلي عن الرذائل والتخلي بالفضائل وهو مبدأ اعلى يتصل به المرء ويشعر به.

ان علاقة التصوف الاسلامي بالديانات الاخرى هو تواصلٌ جدلياً يقوم على التفاعل المثمر على التماثل والاختلاف على النقد والتجاوز، الانصهار ثم اعادة الانتاج، فهو لم يكن رفضاً مطلقاً، كما لم يكن قبولاً مطلقاً او محاكاة باهتة، فهي اعادة اقتضاها منطق الفكر الصوفي في الاسلام ذاته لكونه يلتقي بالغرض (الشكل والبنية) مع كل انماط التصوف او الفلسفات والعرفانيات اذ تلتقي جميعها او تكاد في سائر الثقافات الدينية الشرقية والاوربية فهي تلتقي في اتخاذ الطقس الديني طريقة كشف ومعرفة مقصده في خلاص النفس والتحقيق من الذات الالهية وحقيقتها<sup>(١٧)</sup>.

ان هذا كان رغبة بالاتصال بالمطلق والمعرفة اليقينية بالله من خلال التعالي بالفكر والروح عن عالم الحس والوجود المادي، ان المبادئ التي يتأسس عليها التصوف الاسلامي لو كانت تشارك نظيرتها في الأديان الاخرى فان تمايز التصوف الاسلامي عن ذلك بالماهية من جهة كونه تأسيساً

لخطاب ذي محددات معرفية ورهانات فكرية ومناخ جمالي وهموم وجودية تبدو منها ذات غيرية مستقلة في أوجه كثيرة<sup>(١٨)</sup>.

والغيرية الميزة تظهر للنسق الصوفي من خلال المنحى الشخصي الذي ترك اثر التجارب الروحية لاعلام الفكر الصوفي في الاسلام وولدت لديهم ادراك المعاني والحقائق وجمالية التذوق للتجليات الالهية في الكون والوجود، ان هذا دفع بهم الى ارساء استراتيجيات في الإبداع والكتابة والفهم يعبر ردها او تصنيفها الى حقل معرفي بعينه<sup>(١٩)</sup>.

ان الغيرية والاختلاف في التصوف الاسلامي جعلها تفتتح على الجانب الفلسفي والثيولوجي والفكري والكلامي الفقهي وتعانق الادبي من خلال شعرية ذات ماهية يصعب تحديدها وذات خصائص فنية نتجت عن عمق التجربة الروحية التي يعيشها الصوفي ومن خلالها ينفتح بالمقدس على ممارسة نصية يتعانق فيها الجمالي باستكانة الحقائق ومعاناة تحصل المعرفة وحقائق الاشياء والموجودات في صلتها بالمطلق والمتعالي<sup>(٢٠)</sup>.

وبذلك نرى اهمية التصوف الاسلامي وتعاليه بالفكر والروح واتصاله بالمعرفة اليقينية بالله والتعالي عن عالم الحس والوجود المادي، فضلاً عن الانفتاح الفكري والفلسفي يربطه بالديانات الاخرى ارتباطاً وثيقاً وخاصة انه يتصل بالمعرفة اليقينية بالله وهي صفة تجمع كل الاديان، ولكن الاختلاف هنا بالرهبانية التي ادعوا بها اليهود وغيرهم فتختلف هنا عن التصوف الاسلامي السامي في اصوله الواضح في اهدافه المرتقي باصالته عن الجانب المادي المتعالي بالحسي.

وفي هذا الجانب يذكر المحاسبي في ذم ادعاء الرهبانية وابتعادها عن الهدف في التقرب لله واتباع اوامره: "لقد ذم الله قوماً من بني اسرائيل ابتدعوا رهبانية لم يأمر بها، فلم يراعوها حق رعايتها، فقال تعالى {ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم}<sup>(٢١)</sup>"<sup>(٢٢)</sup>، وقد اوضح ذلك في كتابه عن التصوف



شرحاً مفصلاً، لكن الفحوى من النص هو ادعاء الرهبانية في كل الاديان من غير تطبيقها في الجانب الصحيح هو يخالف الشرعية الاسلامية والتصوف الاسلامي ومبادئه بشكل خاص.

### التصوف المسيحي:

ان التصوف لدى المسيحية هو طلب معرفة الله والشعور بالوحدة مع الله والتكلم معه وجهاً لوجه، وهو النزوع بواسطة الرموز الى المطلق ابدياً، وهي في مجملها تعبر عن مضمون وجوه التصوف المسيحي، وان الاتحاد بالرب عن طريق الاتصال باللامتناهي اي الاتحاد بالرب، ويتم ذلك بحلول الله في المسيح من خلال اتحاد الناسوت باللاهوت وبه يتم الخلاص<sup>(٢٣)</sup>.

وقد سيطرت على التصوف المسيحي فكرة اتحاد الناسوت باللاهوت كما ظهر عند الكثير من الفلاسفة وظهر في فرقها المتعددة، وأظهر لنا كل فيلسوف نظريته وفكرته في الوحدة سواء أكانت حلولاً أم اتحاداً أو وحدة الوجود، ولا بد من ذكر نقطة اساسية ان الفرق المسيحية قد اقرت نظرية الحلول، اي حلول الله في النبي عيسى (عليه السلام)، وقد اتخذت كل نظرية شكلاً محدداً ومعنياً<sup>(٢٤)</sup>.

ان التصوف المسيحي هو المسيحية لأن غاية التصوف تتحقق عند تجسيد المسيح، وان الغاية من التصوف المسيحي هو ان يتحد الانسان بالله اتحاداً لا رجعة في وهذه الرؤية ترجع الى الاحساس بالمسيح الذي اتحد بالطبيعة البشرية وجعل اللاهوت قابلاً قبولاً سهلاً وبتودد وان يتحد الانسان به دون ان يفقد الانسان جوهره البشري، فيظل الانسان كما هو ولكن ممثلاً من الروح القدس<sup>(٢٥)</sup>.

ومن الجدير بالذكر ان التصوف المسيحي ليس فناء، وليس فقداناً للذات في الله بل اثباتها واتحادها بالله، وبما ان عقيدة المسيحية هي ان الكلمة صارت جسداً، اي الاتحاد بين الله وبين المسيح، وبالدرجة الاولى يعتمد التصوف المسيحي على الوسيط وهو الرب يسوع، فان التصوف المسيحي هو عين الديانة المسيحية في مجملها وهو يعتمد على نزول الكلمة والعرفان الفيضي، فهو يغرق في الغنوصية كلية وفي الترقى نحو الاله<sup>(٢٦)</sup>.

### الأثر المسيحي ومظاهر حضوره في التصوف الاسلامي بمناهج المستشرقين:

لقد ارتبط الرأي والقول بالأثر المسيحي في التصوف الاسلامي بالدراسات الاستشراقية، وسوف نتناول مناهج هؤلاء المستشرقين وآراءهم في هذا الجانب وتوضيح من كان منهم منصف ومن كان حاقداً ضد الاسلام، وغدا اغلب من تصدوا لنقد الاستشراق يؤاخذون على رموزه تأكيدهم القول بتأثير المسيحية فكراً وديانة في التصوف الاسلامي ومقالاته وفي بلورة الأفكار الصوفية وفي تجارب اعلامه المتعلقة بحقيقة الوجود والله والانسان واشكالية الخلاص. وعلاقة الروح بالبدن وظهرت في هذا المضمار العديد من المفاهيم<sup>(٢٧)</sup> لكن قبل توضيحها لابد من اخذ نبذة عن مفهوم الاستشراق والمستشرقين.

فالاستشراق: هو العلم الذي يدرس بصفة عامة الأمم الشرقية وبصورة خاصة حضارة الاسلام والعرب<sup>(٢٨)</sup>، فهو "علم الشرق او العلم الشرقي"<sup>(٢٩)</sup>، اي ان اهتمام علماء ومفكري الغرب انصب بالعلوم الشرقية وحضارتهم بصفة عامة والتوجه الى العالم الاسلامي العربي وحضارته بالدراسة والتحليل بصورة اكثر خصوصية.

وعرف ايضاً بأنه: "تعبير اطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرق وشعوبهم واديانهم وتاريخهم ووصافهم ولغاتهم واطواقهم الاجتماعية وبلدانهم لكل ما يتعلق بهم"<sup>(٣٠)</sup>.

ان هذا اللفظ اطلق على كل من يهتم بدراسة الشرق برمته، سواء كانت دراسة للغة ام للتاريخ او غيرها من الجوانب الفكرية، وان الدراسة كانت للحضارة الشرقية دراسة مستفيضة بشتى جوانبها الفكرية.

ان الاستشراق جمع بين النقيضين او الطرفين، فقد جمع بين متشددين ومتعصبين يخفون اغراضاً غير غرض الحقل العلمي سواء كان الغرض الاستعماري او السياسي، او غرض ديني وهذا الغرض يرجى من خلاله اخراج جيل يحمل افكاراً غير سوية عنه من خلال بث السموم في عقول

المسلمين وبث افكار دينية دخيلة مدسوسة، لكن يوجد هناك ايضاً مستشرقين اتصفوا بالحياد والموضوعية وقد قدموا خدمات كبيرة وجليلة للحضارة الشرقية كان لها تأثيراً ايجابياً على الحضارة العربية والاسلامية، فكل تيار فكري يظهر يحمل بين ثناياه كثير من المتناقضات، منها ما يكون سبباً رئيسياً في هدم هذا التيار، ومنها من يكون عاملاً ارتقائه ورقيه، فان الاستشراق هو كيان ثقافي كان عاملاً مهماً من عوامل التواصل والاتصال بين الحضارات فكل حضارة تبنى على انقاذ حضارة منهاره اخرى ولذلك فان الاستشراق هو حلقة من التأثير بين الحضارتين الشرقية والغربية.

ان أغلب اراء المستشرقين اكدت ان التصوف الاسلامي اصله من التصوف المسيحي ويعود السبب في ذلك ما نجده عند العلاج وذلك باستخدامه المصطلحات الصوفية التي كانت تستخدم عند التصوف المسيحي كاللاهوت والناسوت وغيرها، وهذا ليس سبباً رئيسياً لانتساب التصوف الاسلامي وجذوره الى التصوف المسيحي<sup>(٣١)</sup>.

فضلاً عن ذلك ان الأثر في الفلسفة اليونانية بصورة عامة والأفلاطونية المحدثة بصفة خاصة أثر في التصوف الاسلامي، لكن ذلك لا يعني ان نرد التصوف الاسلامي كله الى مصدر يوناني، فان الصوفية الاوائل لم يقبلوا على هذه الفلسفة الا في وقت متأخر وذلك في (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، عندما عمدوا الى مزج ادواقهم القلبية بنظراتهم العقلية<sup>(٣٢)</sup>.

ان البنية الأولى للتصوف بوجه خاص عربية، فوجد لزماً تحديد العناصر الاجنبية التي كان لها آراء المعادين للاسلام الذين كانت آرائهم مخالفة لحقيقة التصوف الاسلامي وكانوا يبحثون عن الثغرات في إبراز ان التصوف الاسلامي هو متأثر ومأخوذ من التصوف المسيحي ويمكن عرض آرائهم وسنستعرض المستشرقين حسب سنوات وفياتهم:

#### ١ - المستشرق أندرياس هنيش توربكه (١٨٣٧ - ١٨٩٠م)<sup>(٣٣)</sup>: يقول المستشرق في

التصوف الاسلامي: هناك احتمال في ان هذا التطور ربما لا يكون قد تم دون التأثير بأفكار مسيحية

مستترة عاشت بصورة متميزة كجزء من التقليد الاسلامي حياة خاصة بها شأنها في ذلك شأن اشراقا فاضت عن ينبوعها النوراني فانفصلت عنه واتخذت سبيلها ومهما كان الأمر فقد تحولت هذه الزهدية الى عبادة صوفية اقتربت من حيث الروح ومن حيث الجوهر من الانجيل اكثر من اي صيغة دينية اخرى غير نصرانية نعرفها<sup>(٣٤)</sup>.

ان المبالغة لهذا المستشرق تتوضح من خلال النص فان التصوف الاسلامي في تطوره واصله ناتج عن ادامة تلاوة القرآن والتأمل فيه وتكون ممارسته وفق سنة رسول الله (ﷺ) وليس كما يحاول المستشرق في ان يرد التصوف الاسلامي الى التأثير بالمسيحية ومن جوهر الانجيل.

٢- المستشرق جون سبنسر تريمينجهام (١٩٨٧-١٩٠٤م)<sup>(٣٥)</sup>: مستشرق بريطاني يؤكد ان التصوف هو وليد افكار اختلطت بالفكر الاسلامي ويذكر ان التصوف هو تطور طبيعي بداخل الاسلام تدين بالقليل لمصادر غير اسلامية على الرغم من استقباليها اشاعات من الحياة الزاهدة المتصوفة والفكر الكهنوتي الناسك للمسيحية الشرقية وكانت الحصيلة هي الصوفية الاسلامية التي تلتزم بخطوط التطور الاسلامي المميز وبالنهاية قد تكون نظاماً صوفياً واسعاً راقياً والذي مهما كان في الأمر فإنه ينطوي على الأفلاطونية المحدثة او العنوصية والصوفية المسيحية والانظمة الاخرى، واننا يمكن ان نعهده وكما فعل الصوفية انفسهم العقيدة الداخلية الباطنية للاسلام والسر الكامن من وراء القرآن<sup>(٣٦)</sup>.

وهو بذلك شأنه شأن المستشرقين الحاقدين على الاسلام الذين يضعون العيد من النصوص التي لا تنطبق على الاسلام فهو يتهم الاسلام والتصوف هو وليد افكار اختلطت به ويفرده في نهاية المطاف الى الافلاطونية وهي ادعاءات غير صحيحة فان التصوف قد ظهر في الاسلام وبدأ بالتطور من ناحية الاشخاص او في المفهوم نفسه وهو بذلك تأثر وخالد العديد من الأفكار ولكن ذلك لا يعني انه وليد المسيحية او الافلاطونية.

٣- **المستشرق غولد تسهير (١٨٥٠ - ١٩٢١م)**<sup>(٣٧)</sup>: يعطي رأيه في التصوف بقوله: عند القاء نظرة عامة على تاريخ التصوف الاسلامي لا يمكن ان نتجاهل المؤثرات الاخرى، وهذا يجعلنا نؤكد ان أثر الأفلاطونية الحديثة وحدها لا يكفي لتفسير الممارسة العملية لشعائر الزهد الصوفي فيه<sup>(٣٨)</sup>، وبذلك ان المستشرقين يدورون في حلقة واحدة وهي وضع اصول غير عربية للتصوف الاسلامي، وهو يلتقي بذلك مع المستشرق اوليري في قوله: ليس من شك ان هذا التيار الافلاطوني المحدث كان جزءاً من الأثر الذي أحدثه في الاسلام ونقل الفلسفة اليونانية الى العربية في العصر العباسي<sup>(٣٩)</sup>.

ان العرب كانوا اصحاب فضل كبير في ترجمة الكثير من الكتب اليونانية، فقد نقلوا لنا تاريخاً كاملاً بفضل حركة الترجمة الواسعة في العصر العباسي ولا يعني ذلك ان الحضارة لم تتأثر فالحضارات تتأثر، ولكن ذلك لا يعني ان الجذور هي التيار الافلاطونية او الفلسفة اليونانية، فهم اصحاب حضارة عريقة وكبيرة وصلت الى حدود الصين.

٤- **المستشرق نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠م)**<sup>(٤٠)</sup>: يقول نولدكه في رأيه بأصل التصوف وارجاع أصله الى المسيحية واليونانية، فقد رد على أصل كلمة صوفي مبيناً ان السين تكتب باطراد في العربية سينا لا صاداً وليس في اللغة الآرامية كلمة متوسطة للانتقال من (سوفوس) اليونانية الى صوفي العربية<sup>(٤١)</sup>.

وفي هذا الموقف وقف بعض المستشرقين الى جانب رأي نولدكه والقسم الآخر رد عليه ولعل أهمهم ماسينيوس الذي كان أول من رفض رأيه، فقال: ان التصوف هو مصدر من الفعل الخماسي المصوغ من الصوف للدلالة على لبس الصوف وبذلك كان المتجرد لحياة الصوف يسمى (صوفياً) ويرفض ما عدا ذلك من الأقوال<sup>(٤٢)</sup>.

وهنا نلاحظ ان لويس ماسينيوس يقف موقف الى جانب الاسلام ومن الجدير بالذكر ان لويس ماسينيوس اهتم بالتصوف لأن التصوف جعل منه بعد الاحاد متصوفاً يدرك معاني جميع الأديان في استنباط واستيعاب ومعظم الدراسات في دائرة المعارف المتعلقة بالتصوف كانت بقلمه، وقد حاز على جوائز كبيرة وأهم آثاره كانت في الحلاج والطواسين للحلاج وأثبت اصالة التصوف في الاسلام في اول رسالة من السوربون في جزئين لأكثر من الف صفحة عام (١٩٢٢م)<sup>(٤٣)</sup> لكنه بالرغم من ذلك كانت له بعض الآراء كالذي يدس السم في العسل وخاصة ما أوضحناه في لبس الصوف التي يرجعها الى اصول مسيحية.

٥- المستشرق آسين بلاتيس (١٨٧١-١٩٤٤م)<sup>(٤٤)</sup>: يرى المستشرق الاسباني بلاتيس ان ادبيات ترويض النفس والسيطرة على الجسد والزهد والاستغراق في حياة النesk والانقطاع الى الخلوات والتأمل تعود في مجملها الى النزعات الروحية والى المسيحية والنزعات التي جادت بها الأديان السابقة على الاسلام، حتى وانه اعتبر فكرة الحب العذري ذات مصدر ديني مسيحي وليس اسلامياً حقاً، وان انتشار الاديرة في الجزيرة العربية قبل الاسلام والمسيحية الشرقية لابد ان يشيع تأثيرها في حياة العرب حتى وان كانوا اولئك العرب غير مسيحيين<sup>(٤٥)</sup>.

تتلور مجمل الافكار المحورية التي يدور عليها الخطاب الاستشراقي القائل بالتأثر المسيحي على التصوف الاسلامي في رد مبادئ النesk والزهد ورياضة النفس وتطهيرها الى اخلاقيات النesk في المسيحية التي كانت منتشرة في البلاد العربية قبل الفتح الاسلامي<sup>(٤٦)</sup>.

٦- المستشرق آرنولد توماس نيكلسون (١٨٦٨ - ١٩٤٥م)<sup>(٤٧)</sup>: الذي درس التصوف الاسلامي وفكرة الشخصية في الصوفية، وقد ذكر: بعد السنة الألف للميلاد بدأ التصوف يمتص الفلسفة اليونانية ويشتهر بها، فالدلائل التي توفرت حتى الآن تدلنا على ان اصولها قد تأثرت بالزهد المسيحي والتصوف اليوناني<sup>(٤٨)</sup>.

ان رأي نيكلسون يريد ان يثبت في ان جذور التصوف هو مسيحي ولا يكتفي بذلك بل يعزوه الى الفلسفة اليونانية، ان العرب المسلمين قد ترجموا الكثير من الكتب اليونانية وخاصة في فترة العصر العباسي الاول فانتشرت الترجمة بشكل كبير لاهتمام الخلفاء فيها ومثل اي حضارة فهي تؤثر وتتأثر بالمعارف والعلوم ولكن هذا لا يعني ان الفلسفة والعلوم العربية هي من اليونانية فقط فهذا الرأي معادي للاسلام فضلاً عن القول ان الأصول تأثرت بالمسيحية فان اصول التصوف هي اسلامية لها قواعدها واصول انتشارها ولا ضير في كونها تتأثر وتتأثر.

٧- المستشرق الفرد بل اكتاف (١٨٧٣ - ١٩٤٥م)<sup>(٤٩)</sup>: وهو مستشرق فرنسي كان منهجه في كتابة تاريخ المذاهب الاسلامية والفرق بالشمال الافريقي كان يرى ان كان لاستمرار الترويض والنزعات الصوفية في الدين لدى مسيحيي بلاد الغرب الاسلامي أثر واضح وبارز في وسم الدين الجديد بمسحة اسرارية صوفية ويذهب الى فكرة الولاية الصوفية حسب تسميته وما يحيط بها من مسحة اسارية وروحية صوفية متعالية الى تأثير فكرة القداسة التي تميز بها كبار القديسين والقساوسة اولئك الذين وجدوا في كنائس شمال افريقيا ابان دخول الاسلام، والى أوامر عهد الدولة الاغلبية (١٩٨٠هـ/٨٠٨م)<sup>(٥٠)</sup>.

ولم يختلف الفرد بل عن غيره من المستشرقين الذين تحيزوا من جهة الى جهة اخرى والهدف في الاخير ضد الاسلام وذلك لارجاع جذور التصوف الى الفكر الغربي المسيحي والنصارى لكن الفرد بل يرجع التنصير الى كنائس شمال افريقيا والى اواخر عهد دولة الاغلبية، وهو رأي منحاز في آخر المطاف.

٨- المستشرق بالنثيا (١٨٨٩-١٩٤٩م)<sup>(٥١)</sup>: اختص هذا المستشرق الاسباني في الكتابة عن الاندلس وتاريخ اسبانيا، وفي هذا الموضع يذكر ويقول في كتابه تاريخ الفكر الاندلسي، وذلك عن حديثه عن الحياة الروحية وطبيعتها في الغرب الاسلامي وتطور الافكار الصوفية وقد تطرق لهذه

التفاصيل وهذه المسألة عندما تناول بالدراسة المنحى الروحي الذي وسم بالأدب الاندلسي، فقال فيه بتأثير الغرب والمسيحية على المتصوفة<sup>(٥٢)</sup>.

وعلى الرغم من التفاصيل التي وضعها بالنشأ في كتابه تاريخ الادب العربي وغيرها من دراساته الا انه في نهاية المطاف يعود ليرجع اصول التصوف الاسلامي الى المسيحية، وان المستشرقين على الرغم من المعلومات والدراسات القيمة التي يعطونها في دراساتهم وكثرة دراساتهم الا انهم يدورون في النهاية الى نقطة واحدة وهي التصوف كان اصله وجذوره مسيحية وان التأثير كبير على التصوف الاسلامي.

لقد ارتبط القول بالأثر المسيحي في التصوف الاسلامي بالدراسات الاستشراقية، وغدا اغلب من تصدوا لآراء المستشرقين ونقد الاستشراق يؤخذون عليهم تأكيدهم القول ديانة وفكر المسيحية في مقالات التصوف الاسلامي وفي تجارب اعلامه، وفي بلورة الأفكار الصوفية المتعلقة بحقيقة الوجود والانسان والله واشكاله الخالص وعلاقة الروح بالبدن وظهرت في هذا المضمار مفاهيم مثل وحدة الاديان ووحدة الشهود ووحدة الوجود هذا المفهوم الاشكالية الذي لم تتأكد بعد مطابقة مدلوله ومضمونه المعرفي في نظرية الفكر الصوفي في الوجود والألوهية<sup>(٥٣)</sup>.

ان التأثير متبادل اعتباراً لكون النزعات الصوفية الناشئة في الاسلام اثرت بشدة في تجارب اللاهوتيين والنسك المسيحيين الذين ظهروا في العصور الوسطى ويمتد وجودهم الى الفترة الحديثة تقريباً<sup>(٥٤)</sup>.

يقول ابن خلدون في هذا الجانب: "ذهب جماعة من المتصوفة المتأخرين الذين صيروا المدارك الوجدانية علمية نظرية، الى ان الباري تعالى متصل بمخلوقاته هو هويته ووجوده وصفاته، وربما زعموا انه مذهب الفلاسفة قبل ارسطو مثل افلاطون وسقراط وهو الذي يقينه المتكلمون حيث ينقلونه في علم الكلام عن المتصوفة ويحاولون الرد عليه لأنه ذاتان تنتفي احدهما او تندرج اندراج الجزء،



فأن تلك مغايرة صريحة ولا يقولون بذلك وهو الاتحاد هو الحلول الذي تدعيه النصارى في المسيح (عليه السلام) وهو أعزب لانه حلول قديم في محدث او اتحاده به<sup>(٥٥)</sup>.

٩- المستشرق دي لاسي أوليري (١٨٧٢ - ١٩٥٧م)<sup>(٥٦)</sup>: كان رأي هذا المستشرق ان اصول التصرف قد تأثرت بالغنوصية، وكذلك الأثر الغنوصي الذي وصل بواسطة الصابئة الذين كانوا يقطنون في منطقة المستنقعات ما بين البصرة وواسط وهؤلاء يسمون المندائيين، وذلك لتمييزهم عن صابئة حران والمتصوف معروف الكرخي (٢٠٠هـ / ٨١٥م)<sup>(٥٧)</sup>. نفسه كان ابناً من هؤلاء الصابئة، ويعارضه في هذا الرأي نيكلسون بالقول: لم يكن معروف من أصول صابئة ولكنه كان على مذهبهم<sup>(٥٨)</sup>.

وان الرد على أوليري في ان الغنوصية هي كلمة يونانية الأصل تعني العرفان، ثم اخذت بعد ذلك معنى اصطلاحياً هو التوصل بنوع من المعارف العليا، وهي فلسفة صوفية باطنية غايتها معرفة الله بالحدس بالعقل او يتناقلها المريدون سراً وظهرت أولاً في الأديان الفارسية التي عرفها المسلمون باسم المجوسية<sup>(٥٩)</sup>، فضلاً عن ان علماء المسلمين والمتصوفية وما وصلوا اليه من العلوم والمؤلفات لم يكونوا بالاساس يحتاجون الى الأخذ من الغنوصية التي ظهرت في الاساس بالمجوسية وهل يعني ذلك ان اصول التصوف الاسلامي مجوسية، اما رد نيكلسون كان كافياً لأن معروف الكرخي كان على مذهبهم ثم اعتنق الاسلام وكما تذكر المصادر ان عائلته كانت عربية مسلمة.

١٠- المستشرق لويس ماسينيوس (١٨٨٣ - ١٩٦٢م)<sup>(٦٠)</sup>: ذكر هذا المستشرق نص يؤكد فيه ان لبس الصوف يرجع الى المسيحية وينفي لبسه بالاسلام فيقول: "اصبحت لبسة الصوف، اي عبادة من الصوف وما برحت من اخص ازياء المسلمين من أهل السنة واستقيح هذا الزي حوالي عام (١٠٠هـ / ٧١٩م) فقيل انه نصراني في الاسلام، وقد عابوا على فرقد السبحني تلميذ الحسن البصري هذه اللبسة وروى الجوباري عن النبي أحاديث لعلها من وضعه يستحب فيها لبس الصوف"<sup>(٦١)</sup>.

ان ماسينيوس اراد ان ينفي لبس الصوت لدى المسلمين ويرجع اصوله الى مسيحية، واكد ان لبس الصوف والتسمية نسبة للبس الصوف، أن الأحاديث النبوية الشريفة تثبت عكس كلام هذا، ان النبي محمد (ﷺ) استحب لبس الصوف فيذكر البخاري حديث عن النبي محمد (ﷺ) "حدثنا ابو نعيم حدثنا زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه (رضي الله عنه) قال: كنت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات ليلة في سفر فقال (أمعك ماء؟)، قلت: نعم، فنزل على راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه الأدوات فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى أخرجها من تحت الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم اهويت لأنزع خفيه فقال (دعما فأني ادخلتهما طاهرتين) فمسح عليهما" (٦٢).

وهذا دليل واضح على ان لبس الصوف هي عادة اتصف فيها النبي محمد (ﷺ) وموجودة وليس مأخوذة من المسيحية وتأثراً فيها، وان صفة الانبياء بصورة عامة هي الزهد بالحياة واللبس الخشن، قال المروزي: "كان رسول الله (ﷺ) يركب الحمار ويلبس الصوف" (٦٣)، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستحب لهذا اللبس لأنه كان لبس الانبياء وكذلك اشتهر به الانبياء من قبله فهو لبس استحبه الرسول الكريم (ﷺ) والانبياء وللزهد والابتعاد عن الملذات ومتاع الحياة الدنيا.

يؤكد مجموعة من المستشرقين ان كلمة التصوف مشتقة من الصوف وانها كانت موضوعة لزهاد المسلمين الذين تشبهوا برهبان النصارى في ارتدائهم لغلظ الصوف وقد استخدموا هذه اللفظة منذ القرن الثامن الميلادي، وان كلمة صوفي بمعنى المتسك اللابس للصوف وان اصل الكلمة هي يونانية بمعنى (سوفس) (٦٤)، وهنا يظهر لنا رأي لمستشرق آخر.

#### ١١ - المستشركة آنا ماري شيميل (١٩٢٢ - ٢٠٠٣م): تقول شيميل المستشركة الالمانية:

ان التصوف نبتة غريبة في صحراء الاسلام، هو خير شاهد على ما نقول (٦٥)، وفي هذا السياق نفسه تذكر شيميل: كثيراً ما ذكرت الأساطير الصوفية رهباناً مسيحي كانوا يعيشون في العراق وفي جبل لبنان وقد ورد في الشعر الجاهلي تعليمات عن نور كان يلوح عن بعد من خيمة راهب مسيحي، وان

الالتقاء مع ناسك مسيحي أو راهب أو حكيم يعد مظهراً من مظاهر الأساطير الصوفية في عصرها المبكر ومثل هذه المظاهر غالباً ما تأتي لتوضيح بعض الحقائق الصوفية للمريد، أو يستفيد منه المريد نداءً ربانياً بأن كل هذه الطقوس النسكية لم تكن لتتقد صاحبها ذلك بأنه لا يؤمن بمحمد<sup>(٦٦)</sup>.

وان بعض المستشرقين يرى ان بدايات الاسلام شهد ممارسة النسك التي تعود دون شك الى التأثيرات المسيحية ومنها استمدت الصوفية، ولهذا فان بداياته كانت متأثرة بالمسيحية<sup>(٦٧)</sup>، وبهذا ان رأي شيميل وغيرها ينصب في مكان واحد وهو ارجاع اصول وجذور التصوف الى المسيحية والرهبانية بوضع القصص بالالتقاء بالرهبان المسيح في العراق وجبال لبنان.

ويؤكد نيكلسون ومنتغمري وآت هذا بقولهم ان الاعتبارات القريبة تذهب ان التصوف حركة كانت ملازمة لحركة النسك الى حد تأثيرها بالمسيحية والنصرانية وقد دعم هذه النظرية العديد من المستشرقين ووقفوا معها، وان هذا الرأي يهدف الى ربط التأثير الصوفي بالمسيحية والمعتقدات الغربية، وترجع اصلها الى جذور مسيحية<sup>(٦٨)</sup>.

وفي هذا الموضع نذكر رأي المؤرخين المسلمين وكيف ان الزهد والنسك هي من عادات وصفات التصوف والمتصوفة المسلمين فيذكر ابن الجوزي: "وقد عبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها عندهم ان التصوف رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الاخلاق الرذيلة وحمله على الاخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاق والصدق الى غير ذلك من الخصال الحسنة<sup>(٦٩)</sup>".

ويذكر أبو نعيم الاصبهاني نص رائع في صفات التصوف فيقول: عنها سُئل من الصوفي: "فقال من صفا قلبه فصفى، وسلك طريق المصطفى (ﷺ)، ورمى الدنيا خلف القفا، واذاق الهوى طعم الجفى، قلت له هذا الصوفي، ما التصوف؟ فقال: التآلف والتطرف، والإعراض عن التكلف: قلت له أحسن من هذا ما التصوف؟ فقال تسليم، تصفية القلوب لعلام الغيوب، فقلت له أحسن من هذا ما

التصوف فقال: تعظيم أمر الله وشفقته على عباد الله، فقلت أحسن من هذا ما الصوفي، فقال: من صفا من الكدر، وخلص من العسر وامتلاً من الفكر، وتساوى عنده الذهب والمرمر<sup>(٧٠)</sup>.

#### الرد على شبهات المستشرقين:

رد بعض المفكرين على شبهات المستشرقين ومنهم محمد اركون فيقول: "ينبغي ان نلاحظ أولاً ان التجربة الصوفية موجودة في كل الأديان وهي بالتالي ليس حكراً على الاسلام وحده وقد تحققت هذه التجربة باستمرارية وتواصلية من الناحية التاريخية تدعو الى الاعجاب، ان التصوف في مقصده النهائي والأعمق يمثل أولاً التجربة المعاشة نتيجة اللقاء الحتمي والتوحيدي بين المؤمن وربّه"<sup>(٧١)</sup>.

والجدير بالذكر في الرد على المستشرقين وآراءهم بمستشرق آخر، فيقول المستشرق مارتين لنجر في الرد على هذه المزاعم: لقد جذبني التصوف الاسلامي جذبي بما فيه من مثل انسانية وآداب ذوقية وفهم صحيح واضح لله وللانسان، والعلاقة بينهما وهي علاقة لم ترسم في اي ثقافة او عقيدة، كما حددت ورسمت في التصوف الاسلامي<sup>(٧٢)</sup>.

كما انه لا بد من معرفة التصوف الاسلامي، حتى وان تأثر في مرحلة معينة من مراحل تطوره بالفلسفة اليونانية واصطلاحاتها او المسيحية، لكنه من حيث النشأة فهو اسلامي صرف وقد اخطأ الكثيرون حينما ردوا التصوف الاسلامي الى مصادر اجنبية عن الاسلام فهو من حيث النشأة نشأ وظهر في بيئة اسلامية خالصة وان العلوم والمعارف بطبيعة التطور الحضاري تؤثر وتتأثر بالحضارات السابقة واللاحقة وان هذا ما حصل للتصوف الاسلامي حيث اخذ عن الفلسفة اليونانية ولكنه تأثر ببعض افكارها فقط ولم تكن الفلسفة او الديانة هو المصدر الاساسي الذي نشأ منه التصوف<sup>(٧٣)</sup>.

وخلاصة القول أن آراء ونظرة المستشرقين الى أن اصل التصوف ينحدر أما من اصول هندية أو يهودية أو فارسية أو مسيحية، وهناك آراء لعدد من المؤيدين الى فكرة أصول التصوف الإسلامي

وأصالته وجذوره الإسلامية فيؤكد أن احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة والاساس الحقيقي لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم والمعارف الإسلامية فيذكر: " فقصد بعض الرهبان الغربيين الأندلس في ابان مجدها وعظمتها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتعلموا على يد علماء ملمين في مختلف العلوم والمعارف وبخاصة في الطب والفلسفة والرياضيات ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب رسمياً بابا لكنيسة روما عام (٩٩٩م) ، بعد ان اكتسب العلوم في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده" (٧٤)

ان التصوف الإسلامي وأصالته هي جذور عربية اسلامية تلاهقت أفكارها مع الحضارات الأخرى لأن المجتمع العربي الإسلامي كان يحتوي على طبقات مختلفة حيث أحتضنها الاسلام وحافظ على حقوقها وكرامتها على مختلف العصور ، وتأتي حضارة أخرى قد تأثرت وتكاثرت بالمكونات الثقافية التي تحتويها الأسم والحضارات الأخرى سواء من ناحية المجتمع أو من خلال الفتوحات العربية الإسلامية، وخاصة الأندلس وتحقيق حضارة عربية إسلامية هناك تركت أثراً مهمة وبعيدة الأمد الى وقتنا الحاضر، ومثلما كان هناك مستشرقين ضد الإسلام أحتوت أفكارهم على الدس والتضليل، لكن أيضاً هناك مستشرقين كان لهم اثر مختلف سواء بالرد على شبهات المستشرقين المعارضين أو في طرح أفكارهم من خلال دراستهم في التاريخ الإسلامي، كان هذا خير جواب ودليل واضح ليس فقط على التصوف الإسلامي وأصالته وجذوره التي حملت في طياتها على العديد من الأفكار والعلوم والفلسفة، لكن في كل ما تحمله الأمة الإسلامية من مجد وعلوم وثقافة بكافة جوانبها.

**الهوامش والمصادر والمراجع**

- (١) الجعبت، نظمي: الحج والعلم والصوفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (فلسطين، د.ت)، ص ٤٦.
- (٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ / ٤١٣م): التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٨٣)، ص ٧٩.
- (٣) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م): تاريخ الطبري او تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط٢، (بيروت، ١٩٨٣)، ص ٥٩.
- (٤) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م)، الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود و د.محمود بن الشريف، دار المعارف، (القاهرة، د.ت)، ج ١، ص ٣٤.
- (٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢، (بيروت، ١٩٨٨)، ج ١، ص ٦١١.
- (٦) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م): الشمائل المحمدية، دار احياء التراث العربي، (بيروت، د.ت)، ص ١٤٦.
- (٧) الهويجري، ابو الحسن علي بن عثمان (ت ٤٦٥هـ / ١٠٨٠م): كشف المحجوب، ترجمة د.اسعاد عبد الهادي قنديل، راجع الترجمة: أمين عبد المجيد، مكتبة الاسكندرية، (الاسكندرية، ١٩٧٤م)، ج ١، ص ٢٨.
- (٨) جاد الله، منال عبد المنعم: التصوف في مصر والمغرب، دار المعارف، (الاسكندرية، د.ت)، ص ٢٠-٢١.
- (٩) الرسالة القشيرية، ج ١، ص ٣٤.
- (١٠) ديوان المبتدأ والخبر، ج ١، ص ٦١.
- (١١) وهي أم الخير بنت اسماعيل العدوية القيسية البصرية مشهورة بكرامتها وزهدها وعشقها الإلهي وكانت من اعيان واخيار عصرها في العبادة والصلاح، ينظر: ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م): صفت الصفوة، دائرة المعارف العثمانية، ط١، (الذكن، ١٩٣٧)، ج ٤، ص ١٦-١٧.
- (١٢) الهويجري، كشف المحجوب، ص ٢٨.
- (١٣) الهويجري، كشف المحجوب، ص ٢٨.
- (١٤) الحكيم، حسن عيسى: كتاب المنتظم لابن الجوزي، منهجه وموارده وأهميته، مكتبة النهضة العربية، (بيروت، ١٩٨٥)، ص ١٦٣.
- (١٥) أمين، احمد: ظهر الاسلام، (بيروت، د.ت)، ج ٢، ص ٧٠.
- (١٦) الحفار، سعيد محمد: الموسوعة العربية، ط١، (دمشق، ٢٠٠٢)، مج ٦، ص ٥١٣؛ للمزيد ينظر: صليبا، جميل: المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللأينية، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٧٨)، ص ٢٨٢-٢٨٣.
- (١٧) الكحلوي، د.محمد: مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، دار الطباعة والنشر، ط١، (بيروت، ٢٠٠٨)، ص ٨-٧.

- (١٨) عبد الحق، منصف: إبعاد التجربة الصوفية الحب- الانصات- الحكاية، (المغرب، ٢٠٠٧)، ص ٢٥٠-٢٦٠.
- (١٩) الكحلوي، مقاربات وبحوث، ص ٨-٧.
- (٢٠) عبد الحق، إبعاد التجربة، ص ٢٥٠-٢٦٠.
- (٢١) ابي عبد الله الحارث بن اسد (٢٤٣هـ / ١٠٥١م): الرعاية لحقوق الله، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية، ط٤، (بيروت، د.ت)، ص ٣٣.
- (٢٢) سورة الحديد، الآية (٢٧).
- (٢٣) برهيه، أميل: تاريخ الفلسفة (العصر الوسيط والنهضة)، ترجمة: جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، (بيروت، ١٩٨٨)، ص ٧٣.
- (٢٤) داود، عبد الباري محمد: الفناء عند الصوفية السملمين والعقائد الأخرى، الدار المصرية اللبنانية، ط١، (القاهرة، ١٩٩٧م)، ص ١٠٠.
- (٢٥) النشار، علي سامي: نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، دار المعارف، (مصر، ١٩٧٧)، ص ١٩٦.
- (٢٦) النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ص ١٨٦.
- (٢٧) الكحلوي، د.محمد: الحقيقة الدينية من منظور الفلسفة الصوفية الحلاج وابن العربي انموذجاً، دار الطليعة، (بيروت، ٢٠٠٥)، ص ١٢٤-١٣١.
- (٢٨) فؤاد، عبد المنعم: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الاسلام، مكتبة العبيكان، ط١، (الرياض، ٢٠٠١)، ص ٨؛ ابو وافية، سهير فضل الله: الفكر الاسلامي يرد على المستشرقين، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، (القاهرة، ٢٠٠٦)، ص ١١.
- (٢٩) الألوسي، عادل: التراث العربي والمستشرقون، دار الفكر العربي، ط١، (القاهرة، ٢٠٠٦)، ص ١٣.
- (٣٠) الميداني، عبد الرحمن حسن حنيفة: أجنحة المكر الثلاث، دار القلم، ط٨، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ١٢٠.
- (٣١) نيكلسون، رينولد البين: في التصوف الاسلامي وتاريخه، ترجمة: ابو العلاء عفيفي، (القاهرة، ١٩٤٧)، ص ٣١٥-٣١٦.
- (٣٢) جودة، ناجي حسين: التصوف عند فلاسفة المغرب، ابن خلدون انموذجاً، (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ٢٩.
- (٣٣) وهو سويدي الأصل تخصص في اللغات الكلاسيكية وجه اهتمامه للشعر الجاهلي المفضليات للمفضل الضبي سنة ١٨٨٥م وديوان عنترة، اهتم باللغات العربية واللهجات العربية، اشترك في تحقيق كتاب درة الغواص في اوهام الخواص للحريري وكتاب تاريخ الطبري، ينظر: بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط٣، (بيروت، ١٩٩٣)، ص ١٦٠.
- (٣٤) اندرياس، توربيكه: التصوف الاسلامي، ترجمة: عدنان عباس علي، (كولونيا، ٢٠٠٣)، ص ٢٤٣.
- (٣٥) وهو مستشرق بريطاني له كتاب نفيس يتناول اتصال تاريخ الحبشة والاسلام خلال قرون بحيث القى الضوء على الكثير من قبائل الحبشة ومنظوماتها ومذاهبها في كتاب يقع في ٣٠٠ صفحة. ينظر: العقيلي، موسوعة المستشرقون، ص ٥٢٦، ج ٢.

- (٣٦) تريمجهام، جون سينسر: الفرق الصوفية في الاسلام، ترجمة: عبد القادر البحراوي، (بيروت، ١٩٩٧)، ص ٢٤.
- (٣٧) مستشرق يهودي تخرج باللغات السامية على كبار اساتذتها في برلين ولندن ولیدن وعين استاذاً محاضراً في كلية العلوم بجامعة بودابشت سنة ١٨٧٣م، ثم استاذ في سنة ١٩٠٦م اشتهر بتحقيقه في تاريخ الاسلام وعلوم المسلمين وفرقهم وحركاتهم الفكرية تزلج بالعربية على يد شيوخ الأزهر ولاسيما الشيخ محمد عبده، ينظر: العقيلي، المستشرقون، ص ٩٠٦، ج ٣.
- (٣٨) تسهير، غولد اجناس: العقيدة والشرعية في الاسلام تاريخ التطور العقائدي والشرعي في الديانة الاسلامية، ترجمة: محمد يوسف موسى، (بغداد، ٢٠٠٩)، ص ٢٥٨ - ٢١٤.
- (٣٩) أوليري، الفكر العربي، ص ١٦١.
- (٤٠) ولد في هامبورج وهو من اسرة عريقة تعلم اللغات السامية والفارسية والتركية السنسكريتية، نال جائزة مجمع الكتابات والاداب في باريس عن رسالته اصل وتركيب سور القرآن (١٨٥٦ - ١٨٦٠م)، وعين استاذاً للغات السامية والتاريخ الاسلامي في جوتجين سنة ١٨٦١م، ترك آثاراً مهمة ترجم كليلة وديوان طرفة وامية بن الصلت وقيس بن الحطيم، ينظر: العقيلي، المستشرقون، ص ٧٣٨، ج ٢.
- (٤١) مجموعة مستشرقين، دائرة المعارف، ص ٢٦٥، ج ٥.
- (٤٢) مجموعة مستشرقين، دائرة المعارف، ص ٢٦٥، ج ٥.
- (٤٣) العقيلي، المستشرقون، ص ٢٨٧، ج ١.
- (٤٤) مستشرق اسباني ولد في سرقسطة على نهر الأبرو، درس الدكتوراه الغزالي والعقائد والاخلاق والزهد) توج اعماله عن الغزالي بكتاب ضخم في ثلاث مجلدات والحق بها الرابع يتضمن نصوصاً مترجمة (منهج الغزالي في التصوف) وهي عبارة عن ترجمة لأهم فصول كتاب الاحياء للغزالي ومقارنتها بمؤلفات النصاري وكتب عن ابن العربي والمرسي، ينظر: بدوي، المستشرقون، ص ١٢١.
- (٤٥) اسين بلاتيسوس: ابن العربي حياته ومذهبه، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات (الكويت، د.ت)، ص ١٠٣ - ١٢٠.
- (٤٦) قنواطي، جورج شحاته: المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، (بيروت، ١٩٨٤)، ص ٨٥ - ٩٩.
- (٤٧) وهو مستشرق انكليزي تخرج من كلية ترينيني - كمبردج حيث برز في الأدب القديم ووضع كتاب نفيس في نقد التصوف مع ترجمة لاصحابها وتتبع لتطوره حيث عد فيه حجة في التصوف في ٨ مجلدات له العديد من الأوسمة وكرم لآثاره وأعماله، ينظر: العقيلي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، ط ٣، (مصر، ١٩٦٤)، ص ٥٢٥، ج ٢.
- (٤٨) نيكلسون، في التصوف الاسلامي، ص ٣٠٩.
- (٤٩) وهو مستشرق فرنسي كان مدير لمدرسة تلمسان اقام مدة في شمال افريقيا حيث درس كل ما يحصل وفهرس الكتب العربية في جامع القرويين بمدينة فاس بالعربية والفارسية، كان له آثاراً عديدة بحث في الانشودة الغازية مع مقارنتها



- بأساطير العرب وقصة بني هلال والاسلام في بلاد البربر وصناعة الخزف في فاس وقصة الفن الاسلامي وغيرها، ينظر: العقيلي، موسوعة المستشرقين، ص٢٥٦، ج١.
- (٥٠) اكتاف، الفرد: تاريخ الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، ١٩٨٩)، ص١-٣٠.
- (٥١) مستشرق اسباني اهتم بالدرجة الاولى بالادب العربي في الاندلس والفلسفة الاسلامية، ولد في قرية هوركايدوي بتاجو عام ١٩٨٩، حصل على الدكتوراه عام ١٩١٥ لرسالة تقويم الذهب لابن الصلت اهتم بتاريخ المستعربين وهم الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام في طليطلة واصدر كتابه في القرنين ١٢ و١٣هـ، وتاريخ اسبانيا الاسلامي وله كتاب مهم في تاريخ الادب العربي في اسبانيا سنة ١٩٢٨، ينظر: بدوي، المستشرقون، ص٧٢-٧٤.
- (٥٢) بالنثيا، أنجل: تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، جامعة القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (مصر، ١٩٥٥)، ص١-٣٣.
- (٥٣) الكحلاوي: الحقيقة الدينية من منظور الفلسفة الصوفية الحلاج وابن العربي انموذجاً، دار الطليعة، (بيروت، ٢٠٠٥)، ص١٢٤-١٣١.
- (٥٤) لوتي، لويث بارات: أثر الاسلام في الأدب الاسباني، ترجمة: محمد نجيب بن جميع، منشورات مؤسسة البحث العلمي، (تونس، ١٩٩٠)، ص٥-٢٠.
- (٥٥) ابن خلدون، ديوان المبتدأ، ص٦١٦، ج١.
- (٥٦) وهو مستشرق بريطاني، له العديد من المؤلفات مثل مختصر تاريخ الخلافة الفاطمية سنة (١٩٣٣)، والجزيرة العربية قبل محمد سنة ١٩٢٧، والفكر العربي ومكانه في التاريخ، وأثر جالينوس في الفلسفة العربية سنة (١٩٢٢-١٩٢٣)، ينظر: العقيلي، المستشرقون، ص٥٢٣، ج٢.
- (٥٧) معروف الكرخي، ابو محفوظ من اهل العراق وقراءهم ممن له الحكايات الكثيرة في كرامتهم وكان من رفقاء بشر بن الحارث، ليس له حديث يرجع اليه روى عنه اهل العراق، ينظر: ابن حبان، ابو حاتم بن احمد بن معاذ (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م): الثقات، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، ط١، (الهند، ١٩٧٣)، ص٢٠٦، ج٩.
- (٥٨) نيكلسون، في التصوف الاسلامي، ص١٧-١٨.
- (٥٩) ينظر: هالم، هانس: الغنوصية في الاسلام، ترجمة: رائد الباش، (المانيا، ٢٠٠٣)، علي سامي: نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، ط٢، (مصر، ١٩٦٤)، ص٤٤-٤٥.
- (٦٠) ولد في توجان في المارن احدى ضواحي باريس سافر الى الجزائر وحصل على ليسانس الآداب (١٩٠٢م) ودبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب بعد زيارته ١٩٠٤م، التحق بالمعهد الوطني للغات الشرقية الحية ودبلوم اللغة العربية الفصحى والعامية سنة ١٩٠٦م، التحق بالمعهد الفرنسي للأثار الشرقية في القاهرة، ينظر: العقيلي، المستشرقون، ص٢٥٦، ج١.
- (٦١) ماسينيوس، لويس، ومصطفى عبد الرزاق: التصوف، ترجمة: ابراهيم خورشيد و د. عبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتب العلمية، مكتبة المدرسة، ط١، (بيروت، ١٩٨٤)، ص٢٧-٢٨.

- (٦٢) البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله: (٢٥٦هـ / ٨٧٠م): الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، (بيروت، ١٩٨٧)، ص٢١٨٥، ج٥.
- (٦٣) المروزي، ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح: الزهد والرقائق (١٨١هـ / ٧٩٧م)، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، للمزيد: ينظر: الطيالسي، ابو داود سليمان بن داود (٢٠٤هـ / ٨١٩م)، مسند ابي داود الطيالسي، دار هجر، ط١، (مصر، ١٩٩٩)، ص٦٠٦، ج٣.
- (٦٤) مجموعة مستشرقين: دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: محمد ثابت العنزي وآخرون، (طهران، د.ت) ص٢٦٦، ج٥.
- (٦٥) شميل، آنا هاري: الأبعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف، (المانيا، ٢٠٠٦)، ص٢٠٠١.
- (٦٦) شميل، الابعاد الصوفية، ص١١-٢.
- (٦٧) ماسيت، هنري: الاسلام، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات، (بيروت، ١٩٦٠)، ص٢١٧؛ للمزيد ينظر: Gibb, H.A: Mohammedanism an Historical Survey, 1953, p.41.
- (٦٨) نيكلسون، الصوفية في الاسلام، ص١٩-٢١؛
- Watt, Montgomery, Islam and Integration of Socieyt, (London, 1960), p.258.
- (٦٩) ابن الجوزي، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م): تلبيس ابليس، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، (بيروت، ٢٠٠١)، ص١٤٧.
- (٧٠) احمد بن عبد الله بن اسحاق (٤٣٠هـ / ١٠٣٨م): حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، دار الفكر العربي، (بيروت، ١٩٧٤)، ص٢٢.
- (٧١) أركون، محمد: الفكر الاسلامي نقد واجتهاد، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى، (بيروت، ١٩١٨)، ص١٥٧.
- (٧٢) الرفاعي، منى ياسين: علم التصوف وآثاره في العبادات، (بغداد، ٢٠٠٩)، ص٧٧.
- (٧٣) ينظر: الميداني، أجنحة المكر الثلاث، ص١٢٢.
- (٧٣) الميداني، أجنحة المكر الثلاث، ص١٢٢.